

التربية الإسلامية في المدارس، واجب وهاجس

Islamic education at school A duty and an obsession

د. عبد الهادي لعقاب*

جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية - خروبة (الجزائر)
a.laakab@univ-alger.dz

تاريخ النشر: 2022/01/30

تاريخ الاستلام: 2021/12/30

ملخص:

هذا البحث عبارة عن نقد لحال التربية الإسلامية في المدارس في أطوارها الثلاثة: الابتدائي والمتوسط والثانوي، ويحوي في الوقت نفسه على مقترح لكيفية تدريس هذه المادة، وما ينبغي أن يتلقاه الطلاب منها في كل طور، فالتربية الإسلامية صارت عبئا استقله التلاميذ وأبغضوه وما ذلك إلا لعدم تذوقهم لمفرداته، أو للمسائل التي فرضت عليهم وأغلبها لا طائل تحته، أو لعدم كفاءة الأساتذة التي أسند إليهم تدريسها.

فحاول الباحث أن يطرح بعض المسائل مناقشا إياها كمسألة جعل مادة التربية الإسلامية توجيهية يشترك فيها الجميع في شقها التربوي الروحي، ويلتزم بها أستاذ المادة في شقها الشرعي، ومسألة إلغاء الامتحان وغيرهما.

الكلمات المفتاحية: التربية الإسلامية، التعليم الابتدائي، التعليم المتوسط، التعليم الثانوي.

* المؤلف المرسل

Abstract:

This research is a critique of the state of Islamic education in schools in its three phases: primary, middle and secondary, and at the same time contains a proposal on how to teach this subject and what students should in receive at each phase.

Islamic education became a burden that students overwhelmed and hated, if only because they had not tasted the subjects of its programm, or because of the subjects imposed on them, most of which were unnecessary, or due to the incompetence of the teachers who were responsible for teaching it.

The researcher tried to raise some questions by discussing them, such as making the subject of Islamic education an orientation subject in which each of the teachers of other subjects can participate in its educational and spiritual aspect, and the teacher of the subject therein. adheres in its aspect of jurisprudence, and the question of the annulment of the examination and the like.

Keywords: Islamic education; Primary education; middle education; secondary education.

1. مقدمة:

مما تقرر في ديننا الحنيف، وورد على لسان رسول الله ﷺ أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق على فطرة سوية، تتجه إلى مولاها وخالقها موقنة بأنه الرب المعبود، وأنها مهياة لعبادته، فقال عليه الصلاة والسلام: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرّانه، أو يمجّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسّون فيها من جدعاء، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم))⁽¹⁾، ومعنى الحديث: أن المولود يولد على نوع من الجبلية، وهي فطرة الله تعالى، وكونه متهيئا لقبول الحق طبعاً وطوعاً، لو تركته شياطين الإنس والجن وما يختار لم يختار غير هذه الفطرة، وضرب النبي ﷺ لذلك

(1) رواه البخاري (رقم: 1292، 456/1)، ومسلم (رقم: 2658، 52/8).

مثلاً؛ وهو أن البهيمة تولد جمعاء، أي: مجتمعة الخلق، سوية الأطراف، سليمة من القطع أو الجدع، لولا تعرض الناس إليها لبقيت كما ولدت سليمة⁽²⁾.

وفي الحديث القدسي أن الله تبارك وتعالى قال: ((وَأَنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلِّهِمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ)⁽³⁾، ومعنى اجتالتهم: أي صرفتهم عن دينهم إلى الأباطيل، فمما يستفاد من هذين الحديثين، أن الإنسان يولد على فطرة سوية حنيفاً مسلماً موحداً، غير أن المؤثرات التي تغير من عقيدته كثيرة، فأولها الأسرة، والثانية الشياطين وما يزينونه من باطل وملذات وشهوات وأهواء.

لذلك كان على المسلم الموحّد السوي أن يحافظ على هذه الفطرة بتميمتها على أسس ثابتة من العلم الصحيح بالله عز وجل، ومعرفة الحكمة من تشريع، حتى يثبت في هذا الزمن المليء بالزعازع والفتن، والملذات والملهيات، وكل شيء يزيد من حب الدنيا ويبعد عن الآخرة.

وسأحاول في بحثي هذا الكلام عما ينبغي الاستفادة منه في مادة التربية الإسلامية في كل أطوار الدراسة حتى يكبر الطالب مطمئناً بإيمانه، موقناً بعقيدته، متعبداً لربه بما يجب عليه، مجتنباً عما نهاه الله عنه، معتزلاً بدينه أينما كان، وحيثما حل، إن عصفت به فتنة، وجرفته لذة، فسرعان ما يروعوي ويرجع إلى ربه، لأن أصله ثابت لم ينكسر.

وسأرسم مسارا تعليميا، وأقترح طرائق في التعليم، لما أتوسمه أن يكون عليه التلميذ في كل أطوار دراسته، ولما ينبغي أن يتلقاه فينفعه في حياته وبعد موته.

(2) غاية النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير بتصرف (1/247).

(3) رواه مسلم في صحيحه (رقم: 2865، 158/8).

1. التربية الإسلامية الأسرية:

إن أولى محطات التعليم التي ينطلق منها الإنسان هي أسرته وأبواه اللذان صرح النبي ﷺ بأنهما السبب الأساس في التوجيه الديني، والتثبيت العقدي ((فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه))، فإذا وجد الطفل رعاية تامة من والديه في تعليم أصول دينه، وما ينبغي أن يتحلى به من الأخلاق والآداب العامة، بحبّ وتعود، ومن غير تعنيف ولا تعسف، ولا تكليف بما لا يطاق، مراعاة لسنّه، ومستواه في تفهّم الخطاب وتقبّله، فإنه سيستوي على سوقه متّزناً، لا يغره ما يراه من تغيير في السلوك، ولا غريب من الأخلاق، وإن رأى شيئاً من الملهيات يستدرجه، ونوعاً من الملذّات يستميله فإنه سيجد الوالدين لذلك بالمرصاد بحسن التوجيه، وذكاء التحذير، وإيجاد ما يعوّض بما يستطيع.

فمدرسة البيت هي الأصل الذي لا يتزعزع، وهي البناء الذي لا يقوّض، وإذا صحّ للمرء أن يزيغ ويصبو، وقد قال نبينا ﷺ: (إن الله يعجب لشاب ليس له صبوة)⁽⁴⁾ وذلك لما يواجهه من عوارض تستجيب لها النفوس وتستميل، فإن الذي انطلق من مبادئ وأصول تربية أسرية سرعان ما يشعر بنفسه وهي تلومه، وضميره وهو يؤنّبّه. ولا أسلم للطفل من أن يتعلم مبادئ دينه، وأصول عقيدته بالتعود والتطبع، كما يتعود على مواعيد أكله، وطريقة جلوسه، وأوقات لعبه، وفترات نومه واستيقاظه، فإنه بذلك سيستغرب من كلّ خلق مشين يعترضه، ويتأذى من كلّ سلوكٍ قبيح يراه، لأنه لم يدرج عليه، ولم يره في محيطه الذي نشأ فيه. وإذا انضاف إلى ذلك انتظام الولد في حلقة قرآنية في المسجد، أو في المدرسة القرآنية، فإن ذلك سيمتّعه بحصانة إيمانية، وتقويم لساني يجد أثره في المدرسة حال التحاقه بها، فقد شهدت مدارسنا أن التلاميذ الملتحقين بالمدارس القرآنية هم أوفر التلاميذ حظاً في النجاح، لأنهم تحصّلوا على زادهم التعليمي بالقرآن الكريم، فأحسنوا النطق، وحفظوا ثروة معجمية معتبرة.

(4) رواه أحمد في المسند (رقم: 17371، 600/28).

2. التربية الإسلامية في أولى سنوات التمدرس:

وإذا وصل الطفل إلى سن التمدرس فإنه سيكون في سن التمييز، أين يصحُّ له بعضُ ما لم يكن يفهمه من قبل، لذلك أمرنا الشارع الحنيف أن نعلّم أبناءنا الصلاة . التي هي وصلة بين العبد وربه . في سن السابعة، يقول النبي ﷺ: (مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، اضربوهم عليها وهم أبناء عشر⁽⁵⁾) ، وتعليم الصلاة في هذه الفترة غايته التعود على هذه الفريضة حتى تصير من ضمن ما ينبغي التطبّع عليه، حتى وإن لم يحسن الولد وضوءه وصلاته، وتهاون في أداء بعض الصلوات في أوقاتها، فإنه لا يعنّف ولا يعزّر بل يوجّه بيّسر، ويكون التوجيه على الدوام حتى يتعود الطفل، وتتولد في قلبه الرهبة من الترك والتهاون.

لذلك كانت فترة التعود على الصلاة في شريعتنا معتبرة في زمانها، فقد حدها الشارع بثلاث سنوات، والأمر الذي يمارسه الولد خمس مرات في اليوم والليلة طيلة هذه الفترة أدعى لأن يرسخ في القلب، ويصير من ضمن العادات التي لا يجوز للطفل تخطيها، لذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بضربه بعد مرور هذه الفترة من التدريب، والمراد بالضرب هنا ليس ضرب العقوبة والتعزير، وإنما الضرب الذي يفيد التأديب والتعليم، لأن الولد الذي تهاون بترك أمر تدرب عليه طيلة ثلاث سنوات يحتاج إلى طريقة أخرى تعيده إلى رشده، من غير مبالغة في التأديب، لأن القصد من الضرب التنبيه والإرشاد.

ومع أن الولد لم يصل بعدُ إلى سنّ التكليف فإن الشارع عرّضه للعقوبة عند ترك هذا الواجب العظيم، ألا وهو الصلاة، لأن الصلاة علامة على الإيمان، وتركها بريد إلى الكفر عياذا بالله، فكان التعود عليها مفروضا عليه منذ سن التمييز، فإذا وصل الولد إلى سن التكليف لم يصعب عليه القيام به، ولم يثقل عليه أمر المحافظة عليها، ولم يبق له إلا أن يتعلّم أصولها، وكيف يحسنها، ويتمّ أركانها.

⁽⁵⁾ رواه أحمد في المسند (رقم: 6689، 284/11)، وأبو داود في السنن (رقم: 495، 367/1).

ويكون هذا التتميم والتحسين في المدرسة التي سيدخلها منذ سن السادسة، وهنا يتحتم على المدرسة أن تهَيء لهذه المرحلة من يحافظ للولد على ما تربي عليه وتعلمه، من إيجاد المعلمين الأكفاء الذين يعوضونه عن المدرسة الأم، من حسن الرعاية، ويسر التوجيه، ومداومة النصح.

وهذه المرحلة، مع كونها سهلة التسيير لأن المعلم يتعامل مع أطفال صغار غادروا عش الأمومة من قريب، فلا يحتاجون إلى كبير نُصح، فإنهم كالطين الذي يسهل عجنه؛ فإنها تكتسي أهمية بالغة لأنها تكون تصديقا لما تلقاه الطفل في بيته، أو تكويننا لمن لم يتلق ذلك، وسواء هذا أو ذاك فإن التعليم الذي يتلقاه الطفل في مدرسته الأولى سيتبوأ مكانة كبيرة في قلبه، فإن أحسن الأستاذ في تثقيفه، وحسن معاملته، أورث ذلك في الطفل صدقا في خلقه، واتزاناً في تفكيره، وثباتاً على دينه.

وبقترح أن تكون طريقة التعليم الديني كما يأتي:

• أن يلتزم الأستاذ بتعليم الأطفال حسن تلاوة القرآن الكريم، وقراءة الحديث النبوي الشريف، قراءة سليمة، بحسب مستواهم، تطبيقاً وتلقيناً، ولا يعطيهم من القواعد النظرية شيئاً.

• أن يُلزم الأستاذ الأطفال بحفظ شيء من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، مع الاستعانة بالأولياء في حسن المراجعة والتثبيت.

• أن تكون أمور الديانة التي يبيها الأستاذ في تلاميذه تطبيقية؛ كالتعود على السلام عند الدخول إلى الفصل، وتشميت العاطس، واتباع المؤذن... وغير ذلك.

• أن يجري الأستاذ للتلاميذ حصة تدريبية للوضوء والصلاة، فيكون هو البادئ بذلك معلماً وملقناً، ثم يسند ذلك للتلاميذ بالدور؛ كل يوم يقود تلميذاً أصحابه فيرشداهم في وضوءهم، ويؤمهم في صلاتهم.

• التذكير بالأخلاق الطيبة، والتحذير من مساوئها يكون في كل يوم، باعتماد طريقة الحكاية والقصة، فإن ذلك أدعى لتثبيتها في النفوس وعدم نسيانها.

• تكليف الأطفال الذين تمكنوا من حسن القراءة مطالعة القصص والكتب التي تناسب مستواهم، والتي تقص عليهم شيئا من سيرة المصطفى ﷺ، وحياة مشاهير الصحابة والصحابيات رضي الله عنهم أجمعين.

• لا ينبغي أن يجعل لمادة التربية امتحان، لا سيما ونحن في أولى المراحل، فإن الامتحان مهاب، ويؤثر في النفوس تأثيرا بالغا، ومسائل التربية الإسلامية روحانية لا يجوز أن تُخلّ بجانب الطمأنينة بحال من الأحوال، فإن كان أمر الامتحان مفروضا فإن على الأستاذ أن يقوم التلاميذ من حيث جودة حفظهم للقرآن الكريم، والحديث النبوي، أو أبيات شعرية فيها حكم أخلاقية، ولا يتعدى ذلك حتى لا تتراء التربية الإسلامية للتلاميذ عقبة كأداء يصعب ارتقاؤها.

3. التربية الإسلامية في مرحلة التعليم المتوسط:

ينتقل الطفل في هذه المرحلة إلى حياة أخرى مليئة بالتحديات، وهناك تبدأ المغريات تجذبه إليها، وتسعى الملهيّات بإلهائه عما يهمّ في حياته، ودعوته إلى كل ما يضر بدينه، وينسف بأخلاقه، لا سيما ونحن نعيش انفتاحا رهيبا على الباطل، فقد أ جلب علينا الغرب بخيله ورجله، وزيّن أعماله فصرنا نراها حضارة، وبات تركها تخلفا، وأشرعت الفتن أبوابها فتهاطلت متسارعة كقطع الليل المظلم كما أخبر المصطفى ﷺ⁽⁶⁾.

في هذا الزمان المخيف صار الحرام سهل التناول، وزهد الناس في الحلال أو كادوا يزهدون، وأصبح همّ أكثر الناس إشباع غرائزهم، واللهث وراء دنياهم، وضعف الوازع الديني، ولا سيما وقد ابتعدنا عن المساجد بعد حلول الجائحة، حتى صار الناس يتساهلون في أداء صلواتهم، وأعظمها الجمعة، وإلى الله المشتكى.

(6) إشارة إلى الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه (رقم: 118، 1/76): ((بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا)).

في هذا الزمان، انفتحنا على العالم بضغطة زر، أو بمسح أنملة، فصارت الأخبار تتهاطل علينا من غير رقيب، فلا تدري الحق من الباطل، ولا تكاد تميز بين الخالص والزائف، وأصبحنا مرتهنين في علاقاتنا بما يسمى بوسائل التواصل الاجتماعي، أين يمكن للفرد أن يتعرف على جماهير من الناس من غير أن يراهم، ولا أن يعرف أخلاقهم، ولا طريقة عيشهم، بل صار فئام من الناس يعرضون أحوالهم في حياتهم العادية، من صور وقطع فيديو، فنقبل الجماهير الخفية نتناقلها، مظهره سخطها أو إعجابها، وهي لا تعدو أن تكون حياة لشخص تافه لا يرقى لأن يذكر اسمه فضلا أن تُعرض على الناس أحوال عيشه.

في هذا الزمان، حلّ اللهو محلّ الجدّ، وصار اللعب عملا يجني وراءه صاحبه مالا لبدأ، وأقبل الأطفال والشباب وراء اللعب الإلكترونية يقتنونها، ويتابعون صدور جديدها، في جري مسعور، وسعي حثيث، وأصيب أغلب الشباب بالهوس، وتحكّم الأمر حتى انقلبت اللعبة سلاحا مدمرا للعقل والبدن.

وأخطر من ذلك كله؛ انتشار المخدرات، ورواج الأدوية المهلوسة بين الفتيان والفتيات، في المدارس والطرقات، فكم من عائلة بكت أبناءها وقد ذهبت عقولهم بعدما أدمنوا تعاطي المخدر، وأخلوا مقاعد الدراسة فتلقفتهم الشوارع بشرها وباطلها. والسؤال الذي يُقضى مضاجع الأولياء اليقظين، والمربين الأكفاء: كيف أسلم (من السلامة) أبنائي وبناتي من آثار هذه الأمواج العاتية من المؤثرات السلبية التي أخذت محلا رحبا في حياتنا؟.

إن لهذا الأمر حلا بإذن الله، غير أن الحل ينبغي أن تتضافر له الجهود، ولا يكون فرديا بحال من الأحوال، فدين الجماعة، ويد الله مع الجماعة، فلا ينبغي للأسرة أن تكف عن تربيتها وتوجيهها، ولا يجوز للمدارس أن تتصلّ مما أنيط بها من رعاية، وحرّام على من أسندت له أمانة التسيير وبناء البرامج التربوية والبيداغوجية أن يضيّعها، ونبينا ﷺ يقول: ((كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راعٍ عليهم وهو مسؤولٌ عنهم، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤولٌ عنهم،

والمرأة راعية على بيت بعلمها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على بيت سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته⁽⁷⁾ .

وتكتسي مرحلة التعليم المتوسط أهميتها من كونها مرحلة حساسة في حياة التلميذ، فهي مرحلة تكتنفها تغيرات فيزيولوجية أودعها الله في جسم الإنسان يتغير خلالها مزاجه، ويكبر عقله، وتذكو غرائزه، ويصل إلى مرحلة البلوغ التي هي مرحلة بداية التكليف في ديننا، حيث يصير الإنسان مكلفاً بتنفيذ أوامر الله عز وجل، واجتناب نواهيه، التي شرعها الله في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ.

وهذه المرحلة تسمى في عرف المعاصرين؛ مرحلة المراهقة، وسميت كذلك لقربه من سن التكليف، يقال: راهق الغلام أي: قارب الاحتلام، فهي مرحلة فاصلة بين مرحلة الطفولة وسن الرشد⁽⁸⁾ .

وينبغي على الوالدين في هذه المرحلة أن يتجنبا لأبنائهما بحسّ المراقبة، وحسن التوجيه، وأن يتحليا بالصبر وال مداراة، والتغافل من غير إهمال، أما المدرسة فمهمتها عظمى، فإن الوقت الذي سيمضيه الولد في صفوفها أكبر من الوقت الذي سيمضيه في بيته، لذلك كان بث الوعي ونشره بين صفوف التلاميذ من أعظم المسؤوليات التي تناط على عواتق الميسرين لهذه المدارس.

(7) رواه البخاري (رقم: 2416، 901/2)، ومسلم (رقم: 1829، 7/6).

(8) علم نفس النمو لحامد عبد السلام زهران (ص: 292)، ويقول في هذا الصدد: (وقد أثبتت الدراسات أن المراهقة مرحلة نمو عادي، وأن المراهق لا يتعرض لأزمة من أزمات النمو مادام هذا النمو يسير في مجراه الطبيعي)، وهذا الكلام رد لنظرية ستانلي الذي هُوّل من أمر المراهقة فقال: ((المراهقة فترة عواصف وتوتر وشدة، تكتنفها الأزمات النفسية، وتسودها المعاناة والإحباط والصراع والقلق والمشكلات وصعوبات التوافق)) انظر المرجع السابق (ص: 291). ويقول العيسوي: (وجدير بالذكر أن النمو الجنسي في المراهقة لا يؤدي بالضرورة إلى أزمات، لكن النظم الحديثة هي المسؤولة عن أزمة المراهقة، وقد بالغ البعض في وصف المراهقة بالعاصفة إلى الحد الذي جعل أحد علماء النفس يصفها بأنها مرحلة جنون (MADNESS)، وظل هذا الرأي مقبولا لمدة طويلة ترجع إلى بداية القرن العشرين، وربما قبله، والحقيقة أنه توجد فروق فردية كبيرة، وتوجد أعداد كبيرة من المراهقين الأسوياء، وفي بعض الدراسات لم تزد نسبة المضطربين على (20 %)، وينحدر هؤلاء المضطربين من بيوت محطمة وغير سعيدة). سيكولوجية المراهق المسلم المعاصر لعبد الرحمن العيسوي (ص: 29).

وإن للتوجيه الديني منفعةً عظيمةً في هذه السن، فيها يتعزّز الوازع الديني، ويتبين للشباب ما ينفعه فيأتيه، وما يضره فيتجنبه، ويزداد تبصّره بالأمور إن وجد حسن الرعاية، وسديد التوجيه، لذلك كانت التربية الإسلامية في مرحلة المتوسط مبنية على صدق التوجيه الذي يتغلغل إلى القلوب فيحدث أثراً وتغييراً.

وأقترح أن يكون برنامج التعليم الديني في مرحلة المتوسط على ما يأتي:

- أن تكون مادة التربية الإسلامية مادة توجيهية عليها سمات الإرشاد والتوجيه، بمعنى أن تكون مصاحبة لكل المواد، وأن يكون الأساتذة المكلفين بالمواد العلمية أو الأدبية واعين بواجب التوجيه الديني الأخلاقي، غير أن هذا متعذر، وبصعب تحقيقه، لذلك كان اختيار الأساتذة الأكفاء الذين يتصدون للتوجيه الديني من أصعب مهمات المسيرين
- وإني لأتوسم أن يكون الأستاذ الذي تسند إليه هذه المهمة النبيلة أستاذاً سويًا في فكره، متزناً في طبعه، مهاباً في طلعتِه، تظهر عليه علائم التدين، ويستحسن أن يكون ملماً بالجانب النفسي للطفل، طارفاً للمسائل العلمية منه، حتى يحسن إمساك زمام التعليم بإحكام وإحسان.
- تحديد البرمجة بما يناسب هذه السن، ولا يُعتدى في ذلك، حتى لا تصير مادة التربية الإسلامية مدعاةً للسامة، تظهر للتلاميذ وكأنها فرضت عليهم لتنتقل كواهلهم بالآصار والأغلال، وقد جاءت الشريعة السمحة لتضعها عنهم.

ومما ينبغي التركيز عليه في هذه البرمجة:

- ✓ تعزيز جانب التزكية، فيها يتقوى الوازع الديني، ويزداد الإيمان، وتحدث الرهبة، ويحسن التفكير. فمن خلالها يتكلم عن علاقة العبد بربه، وكيف يراقب الإنسان حركاته وسكناته، ويعلم يقيناً أنه له ربا سميعاً بصيراً، رقيباً حسيباً.

✓ أن يشرح الأستاذ مفاهيم الإسلام، وكيف أن الله سبحانه اصطفى هذه الأمة بهذا الدين، وبهذا النبي الكريم ﷺ، وبالقرآن الكريم؛ كلامه الذي هو خير الكلام، فيعظم الرضا في قلب التلميذ بهذا الدين، ويحصل الاعتزاز، فلا يغتر بما يجتره المبطلون، ولا ما يطبل به المستغربون الحداثيون .

✓ أن يكون هذا الشرح مناسبا لعقولهم، منسابا إلى قلوبهم، حتى تحصل النتيجة المرجوة، وذلك ببسر الشرح، وحسن التمثيل، وبراعة التنزيل على الواقع.

✓ أن يشرح لهم الأستاذ ما ينبغي أن يعلموه من مفاهيم التكليف، من الواجبات التي لا يجوز تركها، والمنهيات التي لا يجوز قربها، والمسائل الفقهية التي تصاحب ذلك؛ كالغسل من الجنابة، والنظافة المتممة للفطرة، ومسائل الصلاة وترقيعها، ولا يزيد على هذا، ويكون الإلقاء بعبارات مختصرة غير معقدة، خالية من الاصطلاح الغامض المبهم، لأن الغاية من ذلك التطبيق.

✓ من أساليب التثبيت عند التلاميذ محادثتهم، وتركهم يفصحون عن مكونات نفوسهم، فينبغي للأستاذ أن يقرب نفسه إليهم، بحسن المحادثة التي تلج إلى القلوب، فكم من طفل يتوق لمن يحادثه فيسر له ما يجد من أحاسيس، وما يعانيه من أوجاع. الإكثار من الكلام عن المخاطر التي يزينها الشيطان وأعوانه، والتي أضحت من القضايا التي يسهل غشيانها عند الفتیان والفتيات، وهي مسائل تذهب الحياء، وتودي بصاحبها في مهاوي الرذيلة، فينبغي التنبيه عليها والإكثار من التحذير منها، وذلك بالكلام عن قيمة العفة، وفوائد الحياء وعظيم مصلحته، وكيف أن الله سبحانه قد سد علينا في كتابه الكريم منافذ الورود إلى الحرام، فأمر بغض البصر فقال: ﴿ قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُواْ مِنْ آبْصَرِهِمْ وَخَفُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكٰى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ٣١ ﴾ وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضَضْنَ مِنْ آبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ... ﴾ [النور، 30-31]، ونهانا عن قرب الزنا فقال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ الزِّنٰى إِنَّهُۥ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ٣٢ ﴾ [الإسراء، 32]، وهذا نهى عن قرب الزنا فما بالكم بالوقوع فيه، وقص علينا قصص قوم لوط في مواضع كثيرة من كتابه، وهم الذين غيروا فطرتهم وأتوا بفاحشة ما سبقهم بها من أحد من العالمين،

وكيف أن الله انتقم منهم وقطع دابرهم، فمما قاله سبحانه: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ
الْفُجِحَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف، 80]، ووصف عذابهم فقال:
﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلًا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر، 74]، وأخبر سبحانه
وتعالى أنه أحل لنا كل طيب، وحرم علينا كل خبيث فقال: ﴿وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف، 157]، فمن الخبث الوقوع في حائل المخدرات، وفي
قبضة وسائل التواصل الاجتماعي التي تقضي إلى الوقوع في الأعراض، وعرض
الأجساد، وغير ذلك من وسائل الرذيلة والخنا.

✓ أن يأخذوا نصيبا من معرفة مفردات القرآن الكريم، فيفسر لهم غريبه، في
السرور التي يحفظونها من الحزب الأخير، فتتكون لديهم ثروة معجمية مباركة.

✓ عرض أحداث السيرة النبوية بأسلوب قصصي مشوق يجعل التلاميذ يحبون
نبيهم ﷺ، ويسعون للتوسع لقراءة سيرته، وسيرة أصحابه، ويفضي هذا إلى حسن
تكليفهم بتلخيص حدث من أحداث السيرة، أو جمع سيرة لأحد مشاهير الصحابة
والصحابيات رضي الله عنهم أجمعين.

✓ الاهتمام بالمناسبات للتذكير بأيام الله كرمضان، والعيدين، وأيام الحج،
وعاشوراء، ومحرم، والمولد النبوي وغيرها، والتذكير بفضل الأشهر الحرم، وصيام
يومي الإثنين والخميس، والأيام البيض وغيرها من القربات التي تزيد المؤمن قربا من
مولاه وتثبتته على دينه .

■ تشجيع التلاميذ للاختلاف إلى المساجد، والانخراط في حلقة قرآنية يثبتون فيها ما
حفظوا، أو يحفظون ما لم يحفظوه، فإن المسجد ملاذ المؤمنين، وفيه تحصل
السكينة، ويثبت اليقين، ويحفظ الدين.

■ الاتفاق مع مدير المدرسة بأن يدعو إماما من الأئمة، أو داعية من الدعاة، أو
معالجا نفسانيا متدينا، فيلقي محاضرة يعالج فيها واقع الشباب، ويأذن للتلاميذ لأن
يطرحوا مسائلهم، ويعرضوا مشاكلهم من غير تقييد ولا تعقيد.

4. التربية الإسلامية في التعليم الثانوي:

تعتبر المرحلة الثانوية مرحلة متممة للمرحلتين، ومعززة لما تعلّمه التلميذ وتلقّاه، سواء في بيته أو في قسمه الدراسي، وتجد أغلب التلاميذ إن لم نقل كلّهم قد تخطوا مرحلة الحلم، فصاروا بالغين مكلفين، وبلغوا مستوى من النضج لم يكونوا عليه من قبل، لذلك يحتاجون إلى التعامل معهم بأسلوب مغاير لما ألفوه من قبل، فيفصل له ما أجمل، ويشرح لهم ما غمض وأبهم، وتزيد مساحة المعرفة لديهم، بما كسبوه من قبل وبما يفرض عليهم من علوم يتلقونها، وأحواض من الفنون يكرعون منها.

ويقترح أن يكون برنامج التوجيه الديني أو التربية الإسلامية في هذه المرحلة

وفق ما يأتي

- أن تكون مادة التربية الإسلامية توجيهية مفروضة في كل المواد، بمعنى أن يكون لها شقان: **شِقْ روحاني تربوي، وشِقْ فقهي شرعي**، فأما الشق الأول فيشترك فيه جميع الأساتذة بما يذكرونه من حسن الآداب، وجميل الأخلاق. وأما الشق الآخر فيكون في المادة التي تسمى: التربية الإسلامية.
- **ويستحب أيضا أن لا يكون لهذه المادة امتحان**، وإنما يكون هنالك تقويم عام لسلوك الطالب أخلاقيا ودينيا، لأن الغاية من التربية الإسلامية التطبّع والعمل، والامتحان ما هو إلى مراجعة ساعة، وتقويم ساعة أخرى، يخرج التلميذ بعدها ناسيا لكل ما درسه أو تلقّاه.
- يستحب أن يكون الأستاذ الذي تسند إليه هذه المادة على جانب وفير من المعرفة بالمسائل الشرعية، وإمام كبير بعلم النفس التربوي، ومعرفة بمسائل البيداغوجيا والتعليم .
- تعزيز الإيمان في نفوس التلاميذ بشرح أركان الإيمان، ومسائل التزكية كالإخلاص والرجاء والتوكل وغيرها، والتركيز على حسن تطبيقها، وإظهار يسر ذلك للتلاميذ حتى لا تعتاص عليهم .

- تحديد المسائل الشرعية التي تعرض على الطلبة بما يناسب مستواهم وحاجتهم، فلا ينبغي أن تكثر عليهم المسائل التي لا طائل تحتها، فينبغي أن يستدرج الطالب إلى دراسة دينه بالترغيب وحسن الطرح، وجميل الاختصار، ويُسر التطبيق .
- تفسير معاني بعض السور القرآنية التي تفتح لهم باب التدبر، وتذوق كلام الله، فتحصل لهم الهداية بخطابه .
- ربط التلاميذ بدراسة السيرة النبوية بتكليفهم بمطالعة كتاب في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وتلخيصه .
- الحرص على تشجيع التلاميذ على مخالطة المساجد، والإزام التلاميذ بتلخيص خطبة الجمعة التي يلقيها إمام المسجد في الحي الذي يقطنون فيه، فهذه الطريقة تجعل الطلبة يحرصون على حضور الجمعة، والاستماع إلى خطبة الإمام بدقة وتمعن، ويمكن أن يستعين الطالب بالمسجل، ثم يعيد سماعها في البيت حتى يحسن تلخيصها، ويجعل ذلك بمثابة التقويم الذي يحل محل الامتحان.

خاتمة:

قد يظهر من مقالي هذا أنني أدعو إلى مثالية مغرقة، بمبالغة زائدة، وذلك لما حواه من اقتراحات تخالف نظام التمدريس المفروض، فيصعب إنزالها في الواقع، غير أنني أردت من هذا كله إثارة شجون كامنة في النفوس لما نراه من عزوف تام عن دراسة مادة التربية الإسلامية، وما هذا إلا فعل مغرض، وعمل مدروس .

إن دراسة التربية الإسلامية عمل فرضه الله سبحانه وتعالى لما فرض علينا التعبد بدينه فقال: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران، 19]، فلا يجوز لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يجهل مسائل الاعتقاد، أو يغض الطرف عن العمل بالمسائل التكليفية المعلومة من الدين بالضرورة، وإلا صار حظنا من الإسلام اسمه فحسب .

إننا نناشد من يتولى تدريس هذه المادة أن يدرّسها بروح، فيكون قدوة في أحواله وشخصه وسمته قبل أن يظهر بعلمه، فإن الخلق الحسن يستعبد الناس ويستميلهم.

إن الغرض من التربية الإسلامية ليس امتحانا يأخذ وراءه الطالب شهادة لا تُظهر له خلقا ولا ديناً، وإنما الغرض منها تربية حقيقية تنتج لنا جيلاً متحلياً بالخلق الحسن، والتدين الصحيح.

قائمة المصادر والمراجع:

- ✓ الجامع الصحيح للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط.3، بيروت، دار ابن كثير، 1407هـ/1987م.
- ✓ سنن الإمام أبي داود السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط.1، دار الرسالة العالمية، 1430هـ/2009م.
- ✓ سيكولوجية المراهق المسلم المعاصر لعبد الرحمن العيسوي، ط.1، الكويت، دار الوثائق، 1987م.
- ✓ صحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: مجموعة من المحققين، بيروت، دار الجيل، د.ت
- ✓ علم نفس النمو لحامد عبد السلام زهران، مصر، دار المعارف ، 1986م.
- ✓ مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط.2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1420هـ/1999م.
- ✓ النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات ابن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، 1399هـ/1979م.